مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 22 العدد: 3 السّنة: الثّلاثيّ الثّالث 2020 ص: 45-66

الإعجاز اللغوي والبلاغي في القرآن الكريم

- دراسة تطبيقية -

Linguistic and rhetorical miracles in the Qur'an

A practical study

أ. خلف الله بن علي*

تاريخ الاستلام: 17-04-2019 تاريخ القبـــول: 28-06-2020

الملخص:

تتناول هذه الدّراسة مجموعة من مظاهر الإعجاز اللغوي والبلاغي في القرآن الكريم خاصّة في جوانبه التركيبيّة والجماليّة، وقد كانت هذه الدّراسة في شكل تطبيقيّ على بعض الظّواهر اللّغوية كالحذف/ والإبدال/ المفرد / الجمع/ التكرار.

ولا شك أنّ كلّ تركيبة قرآنيّة حرفا أو اسما أو فعلا أو جملة وضعت موْضعا فنيّا مقصودا.

كلمات مفتاحيّة: القرآن الكريم؛ الإعجاز البياني؛ اللفظة القرآنية؛ التراكيب القرآنية؛ دراسة تطبيقية.

---

* المركز الجامعي تيسمسيلت، الجزائر، البريد الالكتروني: benali.khalfalah@gmail.com (المؤلف المرسل)

Abstract:

This study deals with a number of aspects of linguistic and linguistic miracles in the Holy Quran especially in its structural and aesthetic aspects. This study was applied to some linguistic phenomena such as deletion / substitution / singular / plural / repetition, because each Qur'anic combination is a letter, noun, Putting in place a technical objective.

key words: The Holy Quran, Quranic Miracles, Quranic word, Qur'anic Textures, Applied Study.

1ـالمقدّمة:

الإعجاز في القرآن الكريم من القضايا الّتي شغلت بال الباحثين العرب وغير العرب قديما وحديثا، فقد تعدّدت مسائله وتشعّبت واختلفت، وقد تميّز في التّنقيب في هذه القضيّة العديد من الأعلام، فكان ما توصّلوا إليه من نتائج حاسما. وهذا البحث يقوم بتجميع بعض هذه المسائل ويجتهد في متابعة بعض الشّواهد البيانيّة في مستوياتها اللّغويّة؛ خاصّة الجوانب الدّلالية والنّحوية والبلاغيّة.

وكما هو معروف فإنّ البحث في مسألة الإعجاز القرآني كانت الشّغل الشّاغل للعلماء خاصّة في العصر العبّاسي وصولا إلى العصر الحديث، ولعلّ مردّ ذلك هو مدارسة النّصّ القرآنيّ ومحاولة استكشاف أوجه الإعجاز الربانيّ فيه، وكذا العناية بمفهوم الإعجاز، فقد أشار علماء اللّغة أن هذا المصطلح ينسحب على التّعبير والتّجاوز، ومعجزة القرآن كانت في تحدّيه سبحانه وتعالى للبشر.

والجذر عجّز يعجّز إعجازا تناولته المعاجم العربيّة بعناية فائقة، ومن ذلك ما ورد في لسان العرب: «عجز: العَجْزُ: نَقِيضُ الحَزْم، عَجَز عَنِ الأَمر يَعْجِزُ وعَجِزَ عَجْزاً فِيهِمَا؛ وَرَجُلٌ عَجِزٌ وعَجُزٌ: عاجِزٌ. ومَرَةٌ عاجِزٌ: عاجِزَةٌ عَنِ الشَّيْءِ؛ عَنِ ابْنِ الأَعرابي. وعَجَّز فلانٌ رَأْيَ فُلَانٍ إِذا نَسَبَهُ إِلى خِلَافِ الحَزْم كأَنه نَسَبَهُ إِلى العَجْز.

وَيُقَالُ: أَعْجَزْتُ فُلَانًا إِذا أَلفيْتَه عاجِزاً. والمَعْجِزَةُ والمَعْجَزَة: العَجْزُ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: هُوَ المَعْجِزُ والمَعْجَزُ، الْكَسْرُ عَلَى النَّادِرِ وَالْفَتْحُ عَلَى الْقِيَاسِ لأَنه مَصْدَرٌ. والعَجْزُ: الضَّعْفُ، تَقُولُ: عَجَزْتُ عَنْ كَذَا أَعْجِز. وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ: وَلَا تُلِثُّوا بِدَارِ مَعْجِزَة أَي: لَا تُقِيمُوا بِبَلْدَةٍ تَعْجِزُون فِيهَا عَنِ الِاكْتِسَابِ وَالتَّعَيُّشِ، وَقِيلَ بالثَّغْر مَعَ الْعِيَالِ. والمَعْجِزَةُ، بِفَتْحِ الْجِيمِ وَكَسْرِهَا، مَفْعِلَةٌ مِنَ العَجْز: عَدَمُ الْقُدْرَةِ» (ابن منظور 1414هـ، ج.5، ص.369). وخلاصة ما وجدناه في المعاجم المتخصّصة أن معنى هذا المصطلح يحيل إلى المنع، المعاندة، الأمر الخارق المقرون بالتّحدي دائما.

ويجد الناظر المتدبر في آي القرآن الكريم ذلك الخطاب التّجاوزي الإعجازيّ عن قوّته وتفوّقه وفرادته، متحدّيا البشر على أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا على ذلك، والمعجزة كما هو معروف تكون تجاوزا للمقدرة البشريّة، ومن شروطها أنّها تصدر عن الذّات الإلهية والبشر ملزمون بالتّصديق بها، كما أنّها تكون خارقة للمألوف ويستحيل على البشر الإتيان بما يشاكلها، «ولو افترضنا جدلا أنّ القرآن من تأليف النّبيّ (ص) لجاز أن ينافسه عليه آخرون، لكن هذا لم يحدث، وسار القرآن يخترق الآفاق عبر الزّمان والمكان حتّى اليوم، ولجاز لنا أيضا أن نقارن في دراسة موضوعيّة بين أسلوب القرآن وما هو حديث للنّبيّ ﷺ وستعلن النّتيجة أنّ الفرق شديد الوضوح» (داود، 2008، ص.190.). ومن المعجزات الّتي حدّثنا القرآن عنها إحياء عيسى بن مريم - عليه السّلام- للموتى بإذن الله وإبراء المرضى، وانتصار موسى - عليه السّلام- على فرعون وسحرته وشقّ البحر له، وغيرها الكثير من المعجزات الّتي سبقت القرآن ماديّة حسيّة يراها ويسمعها البشر، في حين أنّ معجزة المصطفى - عليه السلام- كانت بيانيّة في كتاب ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾

[فصّلت الآية42]، هذا الكتاب الّذي حاول أعداء الإسلام من مستشرقين وملاحدة ومشكّكين على مدى قرون من الاجتهاد في إيجاد سقطة واحدة ينافحون بها عن شكّهم، ولكنهم عجزوا كل العجز.

وفي اعتقاد معظم متخصّصي هذا الفرع من المعرفة أنّ الّذي يوجب الاهتمام التّام بمعرفة إعجاز القرآن «أنّ نبوّة نبيّنا - عليه السّلام- بنيت على هذه المعجزة، وإن كان قد أُيّد بعد ذلك بمعجزات كثيرة» (الباقلاني، 1971 ص.9)، وتأسيسا على هذا فإنّ «أكبر خصائص القرآن ومزاياه، الّتي هي من دون معجزاته وآياته الّتي تفوق طوق البشر، هو أنّه علم قطعيّ يقينيّ حازم ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ ، [البقرة الآية2]، ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس الآية37] إنّ هذه الخصيصة الّتي يتفرّد بها القرآن لا يشاركه فيها - بطبيعة الحال- أيّ كلام بشريّ ولا يساميه أيّ كتاب صادر من إنسان، إنّه لم يكن ولن يكون، ذلك لأنّ مصدر هذا القرآن هو علم اللّه» (الندوي، 2010 ص.21)، وانطلاقا من هذه اليقينيّة فقد تعدّدت أوجه الإعجاز القرآني وتنوّعت وفي هذه العجالة سنركّز على بعض مظاهر الإعجاز المتعلّقة باللّغة وما تعلّق بها من علوم.

2ـ نماذج من الإعجاز اللغوي في النص القرآني:

يذهب الكثير من الدّارسين في حقل الإعجاز القرآنيّ - قديما وحديثا- أنّ «أعظم وجوه الإعجاز وأعمّها وأتمّها الإعجاز البيانيّ، ولذا وجدنا العلماء قديما وحديثا يركّزون في حديثهم على هذا الوجه، وكثيرا منهم جعل إعجاز القرآن مقتصرا على الإعجاز البيانيّ، وآخرون جعلوه الوجه الأعظم إلى جانب وجوه

أخرى، والسّبب الّذي جعل هذا الوجه هو الأعظم والأتمّ أنّك تجده في كلّ كلمة من كلمات القرآن وفي كلّ آية من آياته، وفي كلّ سورة من سوره، أمّا الوجوه الأخرى فليست كذلك، فالإعجاز العلميّ في عدد من الآيات، فليست كل آية محتوية على قضيّة علميّة وقل ذلك في الإعجاز التّشريعيّ والغيبيّ، وقد عرفت أنّ الخطّابيّ ردّ القول بأنّ من أوجه إعجاز القرآن أخبار الغيب لأنّه ليس وجها هامّا، فالقرآن حين تحدّى النّاس أن يأتوا بمثل القرآن، تحدّاهم بأيّ سورة كانت سواء احتوت على الأمور الغيبيّة أم لم تحتوِ» (عباس، 1997، ص.153).

لا شكّ أنّ القرآن الكريم قد ميّزته بلاغة مثيرة ومخالفة لما كان سائدا مألوفا عند العرب، وقد اعترف بذلك الأعداء، ومن ذلك ما قاله الوليد بن المغيرة وهو من صناديد كفار قريش: «والله ما يشبه الّذي يقوله شيئا من ذلك، إنه له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنّه ليعلو ولا يعلى عليه، ما يقول هذا بشر» (أبو زهرة، د.ت، ص.51.)، وهذه الشهادة تؤكّد يقينا أثر الكلام الإلهي في كل الحواس ويجعل المتلقّي مشدودا إليه، ولا يمكن أن يحدث ذلك مع أيّ خطاب آخر مهما كانت قوّته وبلاغته، فالمعجزة اللّغوية في القرآن الكريم تنسحب على نسجه ونظمه وتراكيبه ومفرداته وأحرفه، يقول السيوطيّ: «فحسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصحاتها، ووجوه إعجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الّذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشّأن فجاء نطقه العجيب، وأسلوبه الغريب مخالفا لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الّذي جاءت عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته، ولم يوجد بعده ولا قبله نظيرا له» (السيوطي، 1408هـ/1988م، ص.23.).

ومما لا شكّ فيه أنّ القرآن عندما تحدّى مولانا جلّ وعلا به الجنّ والإنس على أن يأتوا بمثله كان ذلك التحدي كون اللّه تعالى أعلم بما يحويه كتابه من أسرار قد لا تخطر ببال أحد من البشر لقصور عقولهم الّتي خلقها بقدرته وهو العالم بطاقتها وحدود فهمها «لذلك فإنّ البحث في القرآن الكريم والّذي هو كلام اللّه سبحانه يتطلّب عمقا وجهدا يفوق البحث في مسائل العلوم المختلفة» (قنديل، 2006، ص.5.).

ومن جهة أخرى فإنّ القرآن الكريم «ليس كلاما عاديا أو مجرّد أوامر وتشريعات نلتزم بها، ولكنّه في الحقيقة يتميّز بشيء غير عاديّ وهو أنّه روح من اللّه، يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى، الآية52]» (قنديل ، 2006، ص.215.)، فروح اللّه أعظم وأجلّ من أن يحويها عقل إنسان، ومن غريب إعجازه أن بلغ من تأثيره أن أعداء الرسول خافوا على من يعرف بليغ القول من قومهم أن يسلموا لسماع القرآن فقالوا لهم: ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت، الآية26] (زرزور، 1426هـ/2005م، ص.468.).

وبعد ذلك، وخاصّة في العصر العباسيّ، كان هناك «نوع من النّاس متخفّين يظهرون الإسلام ويعملون بغيره، وهذا هو المحكّ الحقيقيّ الّذي فجّر الطّاقات وشحن الهمم لعلماء المسلمين أن يتباروا للدّفاع عن القرآن ضدّ من أراد له سوءاً حتى أولئك الّذين ألّفوا في قضية الإعجاز القرآني لم يسلم بعضهم من النّقد وذلك أنّهم نسبوا الإعجاز إلى الصّرفة؛ بمعنى أن اللّه صرفهم على أن يأتوا بمثله» (عبد الكريم، 2008، ص.14.).

3ـ تاريخ البحث في الإعجاز:

كما أسلفنا الذكر فقد تعدّدت وتشعّبت الدّراسات الّتي اهتمّت بقضيّة الإعجاز القرآني، ففي القرن الثّالث الهجريّ بدأ الحديث عن هذه الظّاهرة من خلال صراع الفرق الإسلامية «ولم تنفرد قضيّة الإعجاز في أول الأمر بالبحث والنّظر، وإنّما عولجت مع غيرها من القضايا الّتي نشط فيها الكلام وتجادلت الفرق، وخاصّة تلك الّتي تتّصل بالنبوّة والمعجزة، كالذي في (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة، و(مقالات الإسلاميّين) لأبي الحسن الأشعريّ، و(حجج النبوّة) للجاحظ، و(الانتصار) لأبي الحسين الخيّاط... أو تناولها المفسّرون في سياق التّفسير كالّذي في (جامع البيان) للطّبري، و(مجاز القرآن) لأبي عبيدة»(عبد الرحمن، 2004، ص.19.)، وبعد ذلك وفي نهاية القرن الثّالث أخذت مسائل الإعجاز يُفرد لها كتب خاصة، ومن ذلك ما ألّفه السجستانيّ (نظم القرآن)، والزّمخشريّ (الكشّاف)، وأبو عبد الله بن يزيد الواسطيّ المعتزليّ (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) وغيرهم، وفي القرن الرّابع تواصلت الجهود في هذا المجال، وقد كان عنوان (إعجاز القرآن) هو الغالب على رسائل من تصدّوا للتّأليف فيه، ومن أعلام هذا القرن: الرّمانيّ في كتابه (النكت في إعجاز القرآن)، الخطّابيّ في مؤلّفه (بيان إعجاز القرآن)، البقلاّني في مصنّفه (إعجاز القرآن)، القاضي عبد الجبّار المعتزليّ في (إعجاز القرآن) من كتابه (المغني في أبواب التّوحيد والعدل) (عبد الرحمن، 2004، ص.20- 21- 22.).

ويبدو أنّ البقلّانيّ - من خلال ما صنّفه- ظنّ أنّه قد أغلق الباب «وقال في الإعجاز الكلمة الأخيرة، فجاء (عبد القاهر الجرجانيّ من القرن الخامس وعرض السّؤال في قضية الإعجاز كأن لم يُعرض من قبل، وبدأ القول فيها

كمن يرى الميدان خاليا ليس فيه دليل، بحيث احتاج إلى وضع كتابه (دلائل الإعجاز) مقدّمة لفهمه بإدراك أسرار العربيّة، فاستفرغ طاقته في عرض أساليبها ونحوها وملاحظها البلاغيّة، من حيث هي الهادية إلى دلائل الإعجاز فلم يبدأ في كتابه حتّى نظر في كتب السّلف فلم يرَ إلاّ شرّا وتخليطا، وأنكر تصدّي كثير منهم لتفسير القرآن وتأويله؛ وقد عوزتهم آلة فهمه وإدراك إعجازه»(عبد الرحمن، 2004، ص.23.)، وفي هذا القرن أيضا ظهر باحث آخر في الأندلس هو ابن حزم الظّاهريّ، والّذي تصدّى للسّلف مِمّن تكلّموا في الموضوع وقد اشتدّت وطأته على البقّلاني حتّى وصفه بالكفر والهذيان والحمق، وفي القرن السّابع كتب فخر الدّين الرّازيّ كتابه (نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز) وفي القرن نفسه قدّم ابن أبي الإصبع المصريّ كتابه (بديع القرآن) وفي القرن الموالي ألّف ابن حمزة العلوي كتابه (الطّراز المتضمّن أسرار البلاغة وحقائق الإعجاز)، وفي القرن الثّامن صنّف البقّاعيّ كتابه (نظم الدّرر) كما ألّف الزّركشيّ (البرهان في علوم القرآن). أمّا في العصر الحديث فقد عقد الشّيخ محمد عبده في (تفسير الذّكر الحكيم) فصلا (في تحقيق وجوه الإعجاز بمنتهى الاختصار والإيجاز)، وجاء بعده الرّافعي فألّف كتابا بعنوان (إعجاز القرآن) (عبد الرحمن، ص. 23 وما بعدها.).

4ـأمثلة تطبيقية عن الإعجاز:

من اليقين الإيمانيّ أنّ كل تركيبة قرآنيّة، حرفا أو اسما أو فعلا أو جملة «وضعت وضعا فنّيّا مقصودا في مكانها المناسب، وإنّ الحذف من المفردة مقصود كما أنّ الذّكر مقصود- وإنّ الإبدال مقصود له غرضه»(السامرائي 2006، ص.4.) وهو كما يبدو وجها من وجوه الإعجاز الرّبّانيّ في القرن الكريم، ففي قوله تعالى

مثـيلا: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهـف الآيـة97]، «وذلـك في السّـدّ الّـذي صنعه ذو القـرنين مـن زبـر الحديـد والنّحـاس المـذاب وقـد ذكرنـا أن الصّعود على هذا السّدّ أيسر من إحداث نقب فيه لمرور الجيش فحذف من الحدث الخفيف، فقال "فما اسطاعوا أن يظهروه" بخلاف الفعل الشّاق الطّويل، فإنّه لم يحذف، بل أعطاه أطول صنيعة له فقال "وما استطاعوا له نقبا" فخفف بالحذف من الفعل بخلاف الفعل الشّاق الطّويل، ثمّ إنّه لمّا كان الصّعود على السّدّ يتطلّب زمنا أقصر من إحداث النّقب فيه، حذف من الفعل (قصّر منه) لتجانس النطق الزّمن الّذي يتطلّبه كلّ حدث»(السامرائي، 2006، ص. ص.9- 10.)، فأيّ إعجاز بلاغيّ هذا؟ وأيّة دقّة في التّعبير!

ومن معجز التّعابير القرآنيّة الإفراد في مقام التّعذيب والجمع في مقام النّعيم؛ ونقصد الأسماء والضّمائر، وكأنّ المولى عزّ وجلّ «يرمز بالإفراد إلى مضاعفة ألم العقاب وإطباق الشّعور بالوحدة والاغتراب على أنفاس المعذّبين، ومن أمثلة ذلك قولـه تعـالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝١٨ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝١٩﴾[الإسراء، الآيتين:19/18]، يكشف الإفراد عن طبيعة المتعجّل للنّعيم، الحريص على الانفراد به دون الآخرين، غير مبال بإزهاق روح الجماعة في سبيل الفوز بمغنم دنيويّ، فلا عجب أن يكون جزاؤه من جنس ما عاشه في دنياه، فهو منبوذ مطرود مسجون في قفصه، ملقى في نار يعذّب فيها بلا أنيس يشاركه في أنينه، وكأنّما خلق الله جهنم له وحده، فيكون الإحساس بالوحدة والانفراد بالعذاب ما يفوق ألم العذاب نفسه، "له جهنّم يصلاها مذموما مدحورا"، أمّا المقبل على الله تعالى، الحريص على أن يأخذ بيد غيره إلى ما يبتغيه

من الخير، فإنّه لا يسعى إلى الانفراد بمغنم، بل يجد أنسه ولذّته بين إخوانه، يقطفون معه ثمار ما زرعوا معه، وهو في سعيه للآخرة يطلبها بتعاونه مع الجماعة وحرصه على إشاعة الخير فيها... ويفجر طاقات العمل الصالح في أمّته، ومن ثمّ يتقاسم الجميع مناتج الرّضا والثّناء من ربّهم "فأولئك كان سعيهم مشكورا"... ففي الجمع تشريف وتكريم» (الخضري، 1993، ص.27.).

والصّورة نفسها تتكرّر في السّورة نفسها، وذلك في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء، الآيتين71- 72]، فنلاحظ أنّ الحديث عن المؤمن بصيغة المفرد وقت تلقّيه كتابه ميمنا، ثم يتحوّل الخطاب إلى الجمع مباشرة عند البشارة بالنّجاة والفوز بينما عند الحديث عن الضّال يستمرّ معه صيغة الإفراد، مطابقا بين عمله في الدّنيا وجزاؤه في الآخرة - كما الآية السّابقة- فالأوّل ينال النّعيم ويأنس بذلك مع إخوانه ورفاقه، والثّاني بعيد شارد يضرب في دنياه على غير هدى، وهو أيضا وحيد في سجن الآخرة (الخضري، 1993، ص.28.)، فانظر إلى هذه الظّاهرة الأسلوبيّة العجيبة والدّقيقة معًا، وهذا الأسلوب يكثر انتشاره في القرآن الكريم كثيرا لذلك قلنا أن أي شيء في القرآن لم يأت اعتباطيا بل مقصود.

والحكم نفسه يمكن إسقاطه على **قوله** تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه، الآيتين74- 75]، وهنا مقارنة بين المجرم والمؤمن «فالأوّل يساق إلى ربّه موسوما بعلائم إجرامه يتجرّع ألم الوحدة، لا أمل له في توزيع ما اقترفه على أصحاب له... جزاء أنانيته وأثرته وعزوفه عن روح الخير في مجتمعه، فهو في دنياه

لا يألف ولا يُؤلف، وفي آخرته لا يواسى ولا يأنس... والثّاني فيّاض بالخير والنّفع لمن حوله، فكفاه الله بأن جعله يتوسّطهم في جنّة الخلد، ينعم بأنسهم في أعلى درجاتها» (الخضري، 1993، ص.30-29.)، ومن عجيب هذا الأسلوب البلاغيّ في القرآن ما نجده «يشير إلى هذا المعنى بلفظ واحد تتغيّره صيغته بالإفراد والجمع كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء، الآيتين:13- 14]، فجمع (خالدين) في وصف ثواب الطّائعين، وأفرده في وصف عقاب (العاصين) فكان في الجمع تكريم بالأنس وفي الإفراد تعذيب بالوحشة والاغتراب» (الخضري، 1993، ص.13-20.)، ويذهب أبو السّعود إلى تدعيم وجهة النّظر هذه عندما يقول: «ولعلّ إيثار الإفراد ههنا نظرا إلى ظاهرة اللّفظ واختيار الجمع هناك نظرا إلى المعنى للإيذان بأنّ الخلود في دار الثّواب بصفة الاجتماع أجلب للأنس، كما أنّ الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد أشدّ في استجلاب الوحشة»(أبو السعود، د.ت، ص.154.).

ومن معجز القرآن أنك لا تجد معنى مكرّرا «في أسلوب واحد من اللّفظ ضمن قالب واحد من التّعبير، بل لا بدّ أن تجده في كلّ مرّة يلبس ثوبا جديدا من الأسلوب، وطريقة التّصوير والعرض، بل لا بدّ أن تجد التّركيز في كلّ مرّة منها على جانب معيّن من جوانب المعنى أو القصّة، ولنضرب لك مثالا على هذا اقرأ قصّة نوح في سورة هود... ثمّ ارجع فاقرأ القصّة نفسها في سورة القمر... ثم اقرأها في سورة نوح ثمّ تأمّل في النّصوص الثّلاثة وقارن بين أسلوب كلّ منها وطريقتها في العرض والتّصوير، والجانب المعنويّ الّذي يركّز عليه التّعبير في

كلّ منها، فإنّك إن تأمّلت في ذلك جيدا تخيّلت أنّك إنّما تقرأ في كلّ مرّة خبرا جديدا يشوّقك أمره وتفجئك أحداثه... على أنّ هذا الغرض يعود إلى ما ذكرناه من كون القرآن خطابا للنّاس كلّهم، ذلك أنّ في النّاس من لا يكفيه الموجز من القول والخلاصة في الحديث، حتّى ينصت للأمر مفصّلا مطنبا، وفي النّاس من تكفيه الخلاصة ويقنعه الإيجاز»(داود، 2008، ص.184.).

وما من شكّ أنّ الكلمة القرآنيّة تتميّز عن كلام النّاس وأساليبهم وتعابيرهم مهما كانت بليغة؛ لأنّها تتناول من المعنى سطحه وأعماق، وسائر صوره وخصائصه؛ لا تقف عند العموميّات الّتي تقف عندها تعابير البشر، كما تمتاز عن سائر مرادفاتها اللّغوية بتطابق أتمّ مع المعنى المراد فمهما استبدلت بها غيرها لم يسدّ مسدّها ولم يغن غناءها، ولم يؤدّ الصّورة الّتي تؤدّيها، والقرآن يتناول من الكلمات المترادفة أدقّها دلالة وأتّمها تصويرا بالنّسبة إلى نظائرها، فكلمة الغطش في قوله تعالى: ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ [النّازعات، الآية29]، مقارنة من حيث الدّلالة اللّغوية مع الكلمة (أظلم)، ولكنّ أغطش تمتاز بدلالة أخرى من وراء حدود اللّغة يستقل بها جرس الأحرف متآلفة من بعضها مخارجا فالكلمة بهذه الدّلالة تعبّر عن ظلام انتشر فيه الصّمت، وتجلّت في أنحائه مظاهر الوحشة(داود، 2008، ص.205.).

ومن مظاهر الإعجاز في المفردة القرآنية ما نجده في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾، (هود، الآية52)، ففي الآية الأولى أي الأنفال قال: (ولا تولّوا) بحذف إحدى التّاءين، وقال في آية هود (ولا تتولّوا) من دون حذف ذلك أنّ الخطاب موجّه في آية الأنفال للمؤمنين، وفي آية هود الخطاب موجّه

للكافرين وهم قوم هود، ومن المعروف المعلوم أنّ تولّي المؤمنين أقلّ من تولّي الكافرين؛ لأنّ المؤمنين مطيعون لله بخلاف الكفرة، فلمّا كان تولّي المؤمنين أقلّ حذف من الحدث للدّلالة على قلّة تولّيهم بخلاف تولّي الكافرين فإنّه عام شامل؛ بمعنى أنّه يشمل تولّي المؤمنين وزيادة، فزاد في الفعل للدّلالة على زيادة تولّيهم، وهذا ما يشبه تماما قوله تعالى ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ في آل عمران، ومثله أيضا قوله تعالى مخاطبا الأعراب: ﴿قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾، [سورة الفتح، الآية16]، فقال: (تتولّوا) بتاءين لأنّ هؤلاء الأعراب لم يكونوا ممّن تمكّن الإيمان في قلوبهم وتخلّفهم كان تخلّف نفاق بدليل ما قبلها من آيات فقد قال تعالى فيهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾ [آل عمران، الآية167]، وقوله تعالى: ﴿بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ١٢﴾، [الفتح الآية12] (السامرائي، 2006، ص.ص.14- 15.)، وأمثلة هذا النّمط الأسلوبيّ كثيرة في القرآن ودقيقة الدّلالة؛ فكلّما أراد مولانا –عزّ وجلّ- أن يزيد أو ينقص من دلالة وقوّة الكلمة تصرّف فيها زيادة أو نقصا بما يقتضيه المقام.

ومن عجيب اللّفظ القرآنيّ وبلاغته، نجد أنّ مولانا جلّت قدرته يستعمل كلمة في سياق ثمّ يستعملها في سياق آخر مبدّلا فيها حرفا وذلك نحو لفظي مكّة وبكّه واللّائي واللّاتي وبصطة وبسطة وغيرها، وكل ذلك لغرض، فقد قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ﴾[الفتح، الآية24] والسّبب في إيرادها بالباء في آل عمران أنّ الآية عن سياق الحجّ ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ

كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [آل عمران، الآيتان 96/97]، فجاء الاسم بكّة من لفظ البكّ، سمّيت بكّة لأنّ النّاس بعضهم يَبُكُّ بعضا في الطّواف أي يدفع(ابن فارس، 1979، ج.1 ص.186.)، وليس السّيّاق كذلك في آية الفتح، أمّا اللّاتي واللّائي فيقول تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ ﴾[الأحزاب، الآية4]، وقال: ﴿إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْۚ ﴾ ، [المجادلة، الآية2]، وقال: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ﴾ [الطّلاق، الآية4]، وقوله: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ﴾ [النّساء، الآية15]، وقال: ﴿وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النّساء، الآية23] وقال: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّۚ ﴾ [يوسف، الآية50] ومن الملاحظ أنّه استعمل (اللّائي) بالهمزة في حالتي الظّهار والطّلاق، ولم يستعملها في غيرها وكان ذلك لثقل الهمزة، فاستعمل الهمزة لثقلها للحالات الثّقيلة النّادرة وهي حالات المفارقة، ومن الطّريف أنّ بناء (اللّائي) وجرسها يوحي وكأنّها مشتقّة من اللّأي وهو: «الإبطاء والاحتباس والبثّ» (ابن سيدة، 1996 ج.3، ص.334.)، والمظاهر المطلّق محتبس عن امرأته مبطئ عنها، وفي ذلك ما فيه من الجهد والمشقّة والشدّة للطّرفين(السامرائي، 2006، ص.ص.51- 52.).

ومن أوجه الإعجاز في تركيبة الألفاظ في النّصّ القرآنيّ أيضا إبدال السّين والصّاد في لفظتي (بصطة) و(بسطة)، أما كلمة (بصطة) بالصّاد، فقد وردت في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ ﴾[الأعراف، الآية 69]، ووردت في سورة البقرة بالسّين، وهو قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ ﴾ [البقرة، الآية247]، ووردت بالصّاد في وصف قبيلة عاد، وهو قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ

﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف، الآية69]، وتفسير ذلك أنّ طالوت إنّما هو شخص واحد، وأمّا عاد فهي قبيلة، ومن المعلوم أنّ الصّاد أقوى من السّين وأظهر، يقول ابن: «فجعلوا الصّاد لقوتها للمعنى الأقوى، والسّين لضعفها للمعنى الأضعف»(ابن جني، د.ت. ج.2، ص.162.) ، فكان السّين الّذي هو أضعف؛ أنسب وأليق بالشّخص الواحد، والصّاد الّذي هو أقوى وأظهر أليق بالقبيلة، وأمّا كلمة (يبصط) بالصّاد فقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ﴾ [البقرة، الآية245]، وسائر ما في القرآن (يبسط) بالسّين في أكثر من عشرة مواضع، وذلك أنّ البسط في آية البقرة مطلق عام لا يخصّ شيئا دون شيء، وفي غيرها مقيّد، ولا شكّ أنّ البسط المطلق أقوى من المقيّد، فهو يحتمل البسط في الرّزق وفي الأنفس وفي الملك وغيرها، فجاء في الأقوى بالصّاد وفي المقيد بالسّين(السامرائي، 2006، ص.ص.53- 54.).

ومن إعجاز الإبدال في القرآن الكريم إبدال الواو ياء في لفظتي (عتوّ) و(عتيّ)، وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾[مريم، الآية69]، وقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[الفرقان، الآية21]، فاستعمل العليم - عزّ وجلّ- (عتى) في مريم و(عتوّ) في الفرقان، وهما مصدران للفعل (عتا، يعتو)، وقد نرى أنّ ذلك للفاصلة في مريم، غير أنّ هذا الاختيار له دلالة أخرى، وذلك أنّ الواو كما هو مقرّر أثقل وأقوى من الياء، وإنّ الضمّة أثقل وأقوى من الكسرة لما فيها من الجهد العضليّ، وعلى هذا فالعتوّ أثقل من (عتى) وأقوى وتفسير ذلك أنّنا نلاحظ اتّصاف المذكورين بالعتوّ في الفرقان أشدّ مما في مريم؛ لأنّه ذكر أنّهم لا يرجون لقاء الله؛ فهم ممّن كفروا باليوم الآخر، وأيضا لأنّهم

طالبوا ليؤمنوا إنزال الملائكة عليهم، ولم يكتفوا بملك واحد، بل ذهبوا إلى أعظم من ذلك، فإن لم تنزل عليهم الملائكة فينبغي أن يروا ربّهم ليصدّقوا بالرّسول، ثم ذكر أنّهم استكبروا في أنفسهم، وذكر أنّهم عتوا عتوّا كبيرا فأكّد الفعل بالمصدر ووصفه بالكبر، وذكر في مريم أنّه لينزعنَّ من كان أشدّ على الرّحمان عتيّا، فخصّ العتوّ على الرّحمان، في حين أطلق العتوّ في الفرقان ولم يقيّده بشيء، فهم عتاة على الرّحمان وعلى خلقه، هذا من جهة، ومن جهة مقابلة فإنّ العتوّ على الله لا يُنال منه شيئا بخلاف العتوّ على البشر، إذ ما قيمة العتوّ على الله وما أثره عليه؟ إنّه تكبّر مضحك، ولذلك جعل أخفّ العتوّين ما كان خاصّا، وأثقلهما ما كان عامّا (السامرائي، 2006، ص.ص. 56- 57).

وقد يجد المتبصّر في كتاب الله تعالى الكثير من الكلمات المتشابهة في المعنى، ولكن بالتّمعّن والتّأمّل الدّقيقين يجد الفرق بينهما؛ فمثلا كلمتا (الفعل والعمل) فاستعمالهما في القرآن الكريم يعدّ مظهرا من مظاهر إعجازه «ويظهر الفرق بينهما من وجهتين اثنتين: أمّا أوّلاهما فإنّ لفظ (عمل) يستعمل لما يمتدّ في زمانه، وأمّا لفظة (الفعل)... فهي لما يكون دفعة واحدة، والاستعمال القرآنيّ يؤيّد هذا الفرق... قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة، الآية25] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ، الآية13]، و﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التّوبة، الآية105]، أما استعمال مادّة الفعل فليس لها زمان مستمرّ، وإنّما تحدث

دفعة واحدة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾ [الفجر، الآية6]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾﴾ [الفيل، الآية1] ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ [الشعراء الآية19]، وهناك فرق آخر لا يقلّ عنه دقّة وروعة، وهو ما ذكره الرّاغب -رحمه الله- حيث قال: العمل كلّ فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخصّ من الفعل؛ لأنّ الفعل قد ينسب إلى الحيوانات الّتي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى جمادات، فالمتّأمّل في الذّكر الحكيم، يجد ما يطمئن قلبه، وتطيب به نفسه، قال تعالى في سورة النّور: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النّور، الآية41]، وقال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنبياء الآية63]، وفي سورة الإنفطار: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار، الآيتين: 10- 12]، أمّا الآية الأولى والثّانية فأمرهما ظاهر، فالفعل أسند إلى الحيوان من طير وغيره في الآية الأولى، وإلى الجماد في الآية الثّانية، أمّا الآية الثّالثة، فإنّه يلوح لنا منها سرّ رائع، فتعالى المنزّل، وجلّ الصّانع حيث لم يقل: يعلمون ما تعملون لا من أجل غرض لفظي فحسب... وإنّما هو أعمق من ذلك وأدقّ، وهو أنّ هؤلاء الملائكة لا يعلمون ما تقصدون إليه من عمل فقط، وإنّما يعلمون ما وراء ذلك من خلجات النّفوس، وطرفة العين والخواطر والهواجس، وكلّ ما لا يقصّه المرء، فما أبدع الجمال القرآنيّ... ومن خير الشّواهد الّتي توضّح الفرق بين (الفعل) و(العمل) ما قصّه الله علينا من نبأ موسى وفرعون، قال تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الشّعراء، الآيتان19- 20]، والفعلة هنا هي قتل موسى عليه السّلام للقبطيّ، وقد كان دفعة واحدة لا تدرج فيه من جهة، كما أنّه من

جهة أخرى كان أمرا غير مقصود... فكلّ الّذي حدث منه وكز القبطيّ والوكز عادة لا يقتل لذلك سمّاه القرآن فعلا، وفي قصّة البقرة عند بني إسرائيل ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[البقرة، الآية71]».

ويجد المتدبّر في كتاب الله عزّ وجلّ أنّ مولانا قد يستعمل في كلامه المفرد في حالات، ويستعمل المثنّى في حالات أخرى، وقد يستعمل جمعا في حالات ويستعمل جمعا آخر للكلمة نفسها في حالات أخرى، وقد نجد النّصّ القرآني يستعين بالمفرد في مواطن الجمع، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى مخاطبا موسى وهارون عليهما السّلام: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشّعراء، الآية16]، وقوله تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾﴾[طه، الآية 47]، وقوله جلّت قدرته: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الزخرف، الآية46]، «فقال في آية الشّعراء ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بالإخبار بالمفرد عن المثنّى، وقال في آية طه ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ بالإخبار بالمثنّى عن المثنّى، فقال في الزّخرف ﴿إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ بالإخبار بالمفرد عن المفرد، وبالرّجوع إلى سياق الآيات يتّضح سبب الاختلاف، ففي سورة الشّعراء ورد ذكر لهارون مع موسى، غير أنّ القصّة مبنيّة على الوحدة، لا على التّثنية فقد قال على لسان موسى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾﴾ [الشّعراء، الآيات: من 12إلى17] ، ثم ينتقل إلى الوحدة: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الشّعراء، الآية18]، ويستمرّ النّقاش مع

موسى وحده... ثمّ يوجّه فرعون الكلام إلى موسى مهدّدا له: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ٢٩﴾ [الشّعراء، الآية29]» (السامرائي، 2006 ص.ص.88- 89.)، الملاحظ هنا أنّ الحوار بين موسى - عليه السّلام- وفرعون وقومه كان في غياب هارون - عليه السّلام- والسّياق يكشف ذلك. أمّا في سورة طه بنى الكلام «على التّثنية: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣﴾ [طه، الآيتين:42- 43]، ويستمرّ الكلام على التّثنية وإليك الفرق بين السّياقين:

في طه	في الشّعراء
﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾	﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ﴾
﴿قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾	﴿قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ﴾
﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾	﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ٣٤ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾

فلمّا بنى الكلام في (طه) على التّثنية قال: (إنّا رسولا ربّك) بتثنية (رسول) ولمّا بنى الكلام في الشّعراء على الوحدة مع إشارات إلى هارون قال: (إنّا رسول ربّ العالمين) بإفراد الرّسالة وتثنية الضّمير، ولمّا لم تكن أيّة إشارة في الزّخرف

قاله بإفراد الضّمير والرّسول: (إنّي رسول ربّ العالمين)، فجعل كلّ تعبير في موطنه الّذي هو أليق به»(السامرائي، 2006، ص.ص.89- 90).

5-خاتمة:

حاولت هذه الدّراسة كشف النّقاب عن بعض مظاهر الإعجاز القرآني اللغوي والبلاغي (البياني خاصة)، فكما لاحظنا فإن أي تركيبة قرآنيّة حرفا أو اسما أو فعلا أو جملة قد وضعها مولانا جلّ شأنه في موضعها بشكل مقصود؛ بحيث لا يوجد في القرآن الكريم حرف زائد أو لا وظيفة له، بل كل شيء يجده القارئ لكتاب الله سبحانه إلا ووضع بحقه دون زيادة أو نقصان، وقد يجد المطلع المتبصر في هذه الدراسة ما يثبّت إيمانه ويقوّي يقينه بهذا الكتاب الكريم الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد تكون دراستنا هذه فاتحة مجال لدراسات أكثر توَسُّعا وعمقا خدمة لكتاب الله تعالى وحبا في عقيدة الإسلام.

6-المصادر والمراجع:

1)ابن جني، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت. ط.04، ج.2.

2)ابن سيدة، المخصص، المحقق: خليل إبراهيم جفال، دار إحساء التراث العربي، بيروت؟، 1996، ج.3.

3)ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر 1979، ج.1.

4)ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج.5.

5)أبو الحسن الندوي، المدخل إلى الدراسات القرآنية أضواء على وجوه الإعجاز والعلوم القرآنية، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 2010، ط.3.

6)أبو السعود العمادي، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ج.2.

7) أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008.

8) الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، مصر، 1971.

9) جلال الدين السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ/1988م، ط.1.

10)عائشة عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، القاهرة، 2004، ط.3.

11) عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، دار الإعلام الأردن، 1426هـ/2005م، ط.1.

12) فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة العاتك لصناعة الكتب، القاهرة، 2006، ط.2.

13) فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، منشورات جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ط.3، 1997.

14) محمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دار الفكر العربي، القاهرة د.ت.

15) محمد الأمين الخضري، الإعجاز البياني في صنع الألفاظ دراسة تحليلية للإفراد والجمع في القرآن، مطبعة الحسين الإسلامية، 1993، ط.1.

16) محمد حسن قنديل، إعجاز القرآن العلمي والبلاغي والمجازي، دار ابن خلدون للتراث، الإسكندرية، 2006.

17) محمد محمد داود، كمال اللغة القرآنية بين حقائق الإعجاز وأوهام الخصوم، دار المنار، القاهرة، 2008.